صيد الحيوانات ذات الفراء فى المناطق الشمالية المتجمدة

عندما تم اكتشاف قارة أمريكا الشمالية لأول مرة كانت تكتظ بالحيوانات ذات الفراء لتحميها من برد الشتاء القارس ، وكان الهنود يصطادون هذه الحيوانات ليستخدموا جلودها ، وكان الجلد المفضل لهم هو جلد القندس الذى يتميز بصوفه الجميل .

وكان أول من اكتشف قيمة الفراء من الأوربيين هم صائدو السمك فى خليج سانت لورانس عندما كانوا يهبطون إلى الشاطىء لتجفيف حصيلة الصيد من أسماك الحوت فيشاهدون الهنود وقد اكتسوا بجلود القندس ، فكانوا يتبادلون معهم تلك الملابس الجلدية مقابل المدى وغيرها من الأدوات التى يحبها الهنود .

ثم بدأت تجارة الفراء تنتشر فى أوروبا فى عهد الملك شارل الأول ، حيث ظهرت القبعات المصنوعة من اللباد والمزينة بالفراء بعد أن أدرك صانعو القبعات أن صوف القندس يتميز بوجود بروزات طويلة تمتد بطول الشعيرات مما يجعله يلتصق باللباد فى سهولة ، ولذلك بدأت تجارة الفراء تزدهر فى كندا بصفة خاصة ، وأقيم مركز تجارى على خليج هدسون ، كما أقيمت مراكز تجارية فى كندا الشمالية واستخدمت هذه المراكز المستوطنين الهنود فى القيام بعمليات القنص وكان يتم تبادل الفراء بالبضائع ، كما صدرت عملة خاصة تسمى « القندس » كل قطعة منها كانت تساوى قيمة جلد قندس واحد .

وكان معظم القناصة من الهنود أو الأسكيمو من سكان المناطق الشمالية الذين يعتمدون فى معيشتهم على القنص بالرغم من المشقة البالغة التى تتسم بها حياة هؤلاء القناصة .

وما أن يعم الجليد فى شهر أكتوبر حتى يخرج القناصة فى شمال كندا إما فرادى أو أزواجاً يحمل كل منهم حباله الخاصة التى يستخدمها فى نصب الفخاخ ،

ولابد للقناص أن يكون ملماً بالكثير من المعلومات الخاصة بطبيعة الحيوان الذى يسعى لاقتناصه مثل القندس والثعلب والذئب والمنك والدلق ، وكل نوع من هذه الحيوانات له ماييناسبه من الفخاخ ، وعلى القناص أيضاً أن يختار أفضل الأماكن التى ينصب فيها فخاخه ، ويظل القناصة فى التجول على امتداد خطوط الفخاخ طيلة الفترة من أكتوبر وحتى حلول الربيع ، حيث يفحصون كل فخ على حدة مرة كل أسبوع تقريباً لجمع ماقد يقع من الحيوان ، لأن الجلود تتلف إذا تركت هذه الحيوانات فترة طويلة داخل الفخ .

ويرتدى القناصة أحذية خاصة للسير على الجليد ، كما يستخدمون الزحافات التى تجرها الكلاب القوية ، ولكنهم الآن يستخدمون الزحافات الآلية .

ويعيش القناص فى خيمة ويحمل غذاءه مع مايمكن أن يحصل عليه من الصيد ، وما أن يحل الربيع حتى يحمل الجلود التى جمعها إلى أحد مراكز التجارة ليبيعها له .

ولكن مع استمرار الصيد بدأت أنواع الحيوانات ذات الفراء فى التناقص ، بل أن بعض هذه الأنواع قد أختفى تماماً مما أثار قلق الحكومة الكندية فأصدرت عدة تشريعات بغرض المحافظة على هذه الحيوانات من الانقراض ، كما أنشأت مزارع لحيوانات الفراء ، ومن المثير أن الثعالب كانت أولى هذه الحيوانات التى بدأت تربيتها فى تلك المزارع إلى جانب حيوانات أخرى مثل المنك والدلق والسنار .

أوائل المستكشفين لبلاد الثلج

بيتيا أقدم المستكشفين لمناطق الشمال :

لم يكن بيتيا تاجراً أو بحاراً ولكنه كان من الدارسين ، لقد قام بحساب خط العرض الذى تقوم عليه مدينته وقدم العديد من الملاحظات حول الشكل الذى يتخذه المد البحرى وتوصل إلى أن المد يتحكم فيه القمر .

وقد عاش هذا المستكشف فى الفترة حوالى عام ٣٢٥ قبل الميلاد واشتهر الجغرافى بيتيا بسبب بعض الرحلات التى قام بها والأعمال الفلكية ، لذا تم اختياره ضمن حملة مهمتها الوصول إلى تلك البلاد البعيدة فى الشمال والتى ترد منها المواد الأولية كالنحاس والقصدير والذهب ، وسافر بيتيا من ماسيليا وهى المدينة التى تعرف الآن باسم مارسيليا ، وكانت مهمته الوصول إلى بريطانيا ، وأن يقرر ما إذا كانت هذه البلاد البعيدة التى يغطيها الضباب جزيرة أم شبه جزيرة ، وأن يحدد المنطقة التى يأتى منها ذهب الشمال .

واجتاز بيتيا بلاد الغال قاطعا الطريق الذى كان تجار مدينة ماسيليا قد قاموا بتحديده بعد حصار جبل طارق ، وبعد أن بدأ رحلته اتجه شمالاً مخترقاً قناة المانش وسار بحذاء الساحل الغربى لبريطانيا بأكمله .

وكان بيتيا أول بحار من البحر الأبيض المتوسط يتوغل كل هذه المسافة شمالاً ، ثم هبط إلى الجزيرة وتفقد مناجم القصدير فى كورنفيل ، وخلال جولته زار جزر شيتلاند ثم مضى نحو الشمال الشرقى إلى ثيول وهى البلدة الغامضة التى كان الأقدمون يعتبرونها أقصى مناطق العالم الغربى ، واستطاع بيتيا فى جزيرة ثيول أن يتعرف على أن النرويج كانت جزءاً من القارة فى حين أن ثيول كانت تعتبر جزيرة .

ثم سار بيتيا بحذاء الساحل الشرقى لبريطانيا ثم تحول نحو الشرق متجها إلى بلاد العنبر وهى البلاد التى تطل على بحر البلطيق ، وسار فى اتجاه

سواحل أوروبا الشمالية حتى ألبا ، ثم وصل إلى جزيرة فريزون وتمكن فى النهاية أن يتبين أن العنبر من أصل نباتى على عكس ماكان يعتقد أهل أوروبا من أنه رغوة موجات البحر أو أنه العرق الذى يتصبب من الشمس .

وبعد أن عاد بيتيا إلى وطنه وضع كتابا بعنوان **(حول المحيط)** ولكن هذا الكتاب فقد ، وكل مايعرف بشأن هذا الجغرافى العظيم يرجع الفضل فيه إلى المؤرخين الرومان والأغريق الذين نقلوا بعض أخباره ، وقد تسبب ضياع هذا الكتاب فى تأخير التعرف على الأراضى الشمالية عدة قرون والواقع أن الأنباء القليلة التى تناقلها المؤلفون تتفق وبدقة تدعو للدهشة مع الأوضاع الحقيقية لهذه البلاد ، مما يدعو إلى اعتبار هذا الرجل من كبار الرحالة الرواد فى العصر القديم .

الطريق الذى سلكه بيتيا فى رحلته

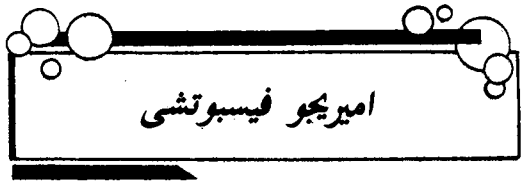

امیریجو فیسبوتشی

اشتهر كريستوفر كولومبوس بأنه مكتشف الدنيا الجديدة ، ولكن القارة الجديدة لم يطلق عليها اسم كولومبوس ، وإن كانت هناك دولة فى أمريكا الجنوبية اسمها كولومبيا ، أما الرجل الذى تسجل أمريكا شهرته فهو اميريجو فيسبوتشى .

إذ الواقع أن الفضل يرجع إلى فيسبوتش فى أكتشاف جزء كبير جداً من أمريكا ، ولايعرف على وجه التحديد إلى أى مدى تم هذا لأن المؤرخين قد اختلفوا حول تحديد الأماكن التى ذهب إليها هذا الرجل الشجاع بالضبط كما اختلفوا فى عدد الرحلات التى قام بها إلى الدنيا الجديدة ، وكان يعتقد أنه قام بأربع رحلات إلا أن رحلتين منهم مؤكدتين .

واميريجو فيسبوتشى إيطالى الجنسية ولد فى فلورنسا فى ١٨ مارس ١٤٥٤ وتلقى تعليماً ممتازاً وما أن بلغ الخامسة والعشرين من عمره حتى أوفدته حكومة بلاده فى بعثة دبلوماسية إلى ملك فرنسا فى عام ١٤٧٩ وبعد عودته إلتحق بالعمل فى المصرف الذى تملكه إحدى الأسر الكبرى فى فلورنسا وتدعى أسرة ميديتشى، ومن الغريب أن النجاح كان حليفه تماماً فى العمل المصرفى حيث أوفد فى عام ١٤٩٢ إلى أسبانيا إذ كان لهذه الأسرة العريقة أعمال فى مدينة إشبيلية ، وكان يدير هذا العمل رجل يدعى جيا نولد بيراردى وكان اميريجو يعمل معه .

وكان بيراردى فى ذلك الوقت يساهم فى إعداد الترتيبات لقيام كريستوفر كولومبوس برحلته الأولى عبر المحيط الأطلنطى فى عام ١٤٩٢ ومن المؤكد أن اميريجو ساعد بيراردى فى إعداد السفن لرحلتى كولومبوس الثانية والثالثة وقد تهيأ له خلال هذا العمل أن يتعرف على كولومبوس شخصياً ، وعند

وفاة برارى فى عام ١٤٩٦ أصبح فيسبوتشى مديراً للعمل وظل مقيماً فى إشبيلية إلى أن احترف هو أيضاً أعمال الاستكشاف وبدأت الرحلة الأولى لفيسوتش فى مايو عام ١٤٩٩ حيث أقلع من ميناء فادش بأسبانيا فى أسطول صغير مؤلفا من أربع سفن تحت قيادة المستكشف الأسبانى الونسودى أوجيدا إلا أن الرجلين اختلفا بشأن طريق الرحلة لذا افترق الرجلان بعد وصولهما إلى ساحل جويانا فى أمريكا الجنوبية حيث أبحر أوجيدا متجهاً إلى الشمال بينما أبحر فيسبوتشى متجهاً إلى الجنوب ، وفى الطريق استكشف فيسبوتشى نهر الأمازون ثم استمر فى الاتجاه جنوباً حتى وصل إلى رأس لاكونسولاسيون جنوب خط الاستواء بست درجات ثم استدار عائداً إلى جزيرة هايتى والتى كانت تسمى سبانيولا فى ذلك الوقت إذ كان قد اتفق مع أوجيدا على اللقاء هناك ليعودا معاً إلى أرض الوطن .

وأثناء رحلة فيسبوتشى مر على جزيرة ترينداد وهى إحدى جزر الهند الغربية وكانت له مغامرة بالغة الإثارة على ظهر هذه الجزيرة ، إذ ما إن هبط على أرض الجزيرة حتى رحب به الأهالى ودعوه فى مودة بالغة إلى زيارة أكواخهم فلبى الدعوة ، وعند زيارة أول كوخ رأى كومة ضخمة من العظام البشرية مكدسة فى أحد أركان هذا الكوخ فارتعدت أوصال فيسبوتشى و لم يكن هناك أى مجال للهرب فتظاهر بعدم المبالاه ونظر متسائلاً نحو الرجل الكهل الوادع الذى يرافقه والذى لم يكن بالطبع يفهم لغة فيسبوتشى ، ولكن الرجل بدأ يفهم الاشارات ويفسر له أن مواطنيه اعتادوا على زيارة الجزر المجاورة لخطف الرجال والنساء ثم أكلهم ، وأضاف الرجل أن مذاق لحمهم ممتاز ، فاقشعر بدن فيسبوتشى وأدار دفة الحديث بسؤال الرجل عن عمره فأشار الكهل إلى عدد حبات العقد الذى يضعه حول عنقه ، وكان عدد حبات العقد ١٣٠ حبة .

وفى عام ١٥٠٠ وصل فيسبوتشى إلى وطنه بسلام ، ولكنه عقد النية على القيام برحلة جديدة أخرى إلا أنه لم يجد تحمسا من الملك فرديناند والملكة إيزابيلا ، فاضطر إلى الانتظار إلى أن وجد تشجيعاً من ملك البرتغال ، وفى مايو عام ١٥٠١ أبحر فيسبوتشى من ميناء ليشبونة عاصمة البرتغال .

وفى هذه الرحلة تقدم جنوباً لأبعد من الرحلة الأولى فوصل إلى ساحل البرازيل عند رأس ساواخو سيشنو واستمر فى التقدم جنوباً على امتداد ساحل أمريكا الجنوبية ، فاستكشف نهر بلات ويحتمل أنه توغل إلى ماوراء هذا النهر ، ولم تتوفر التقارير المسجلة حول طريق عودته من رحلته الثانية والمؤكد أنه عاد إلى لشبونة فى ٢٢ يوليو عام ١٥٠٢ .

ويعتبر رحلة فيسبوتشى نقطة تحول بالغة الأهمية فى تاريخ الاستكشاف ، إذ حتى ذلك الحين كان يعتقد كولومبوس وكل المهتمين بهذا المجال فى ذلك الوقت أن الأرض المستكشفة هى أجزاء من آسيا وكان البحث لايزال جارياً عن طريق بحرى إلى الشرق الأقصى ، ولكن اميريجو اكتشف الحقيقة بالصدفة وعلم أنه ورفاقه كانوا أول من اكتشف قارة جديدة .

وقد عمل فيسبوتشى بعد ذلك فى مؤسسة تجارية لجزر الهند الغربية ومنح لقب الملاح الأول ، وكانت مهمته الإشراف على إعداد الرحلات وعمل الخرائط للدنيا الجديدة ، وتوفى اميريجو فيسبوتشى عام ١٥١٢ .

الطرق التى سلكها فيسبوتشى

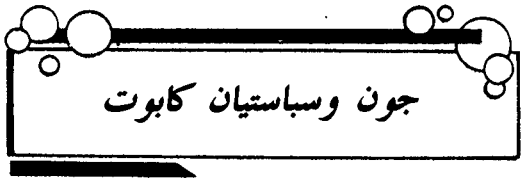

كان جون كابوت أو جيوفانى كابوتو من مواليد جينوا عام ١٤٥٠ وذهب إلى البندقية وهو بعد فى سن مبكرة حيث اشترك فى الرحلات التجارية العظيمة التى كانت سبباً فى ازدهار البندقية ومن بينها رحلته الشهيرة إلى مكة .

وقد أعجب كابوت الشاب إعجاباً عظيماً بالجزائر والتوابل والأحجار الكريمة التى رآها هناك ، وأخذت تلح عليه فكرة احتمال وجود طريق بحرى قصير يصل إلى بلاد الشرق من غرب أوروبا ، وكان كابوت مثل كل عظماء المستكشفين فى عصره مقتنعاً بأنه من الممكن العثور على ذلك الطريق من خلال الإبحار غرباً ، لذا توجه جون إلى لندن فى حوالى عام ١٤٨٤ ليعرض أفكاره على الإنجليز ، وقد رحب بخطته تجار مدينة بريستول وكانت من أكبر موانى إنجلترا .

وكانت إنجلترا فى ذلك الوقت تنظر بعين الحسد إلى الأمبراطوريات الشاسعة التى كانت أسبانيا والبرتغال تغتنمها من خلال مستكشفيها أمثال كريستوفر كولومبوس الذى قام برحلته على متن سفن أسبانية وأيضاً فرديناند ماجلان الذى مولت الحكومة الأسبانية رحلته .

لذا قررت إنجلترا رعاية جون كابوت ، على أن تتم رحلاته الاستكشافية باسم التاج الإنجليزى .

وظلت الرحلات تتوالى على مدار سنوات عديدة بقيادة كابوت بهدف العثور على جزيرة البرازيل أو جزيرة المدن السبع والتى كان رسامو الخرائط فى العصور الوسطى يحددون موقعها إلى الغرب من إيرلندا إلا أن هذا البحث لم يسفر عن شىء .

وفى عام ١٤٩٣ وصلت أنباء تفيد بأن كولومبوس قد نجح فى الوصول إلى الهند وفى الحال تقرر إغفال البحث عن جزيرة البرازيل والتوجه رأساً إلى الأراضى الأسيوية ذات الثراء الخيالى .

وفى ٥ مارس عام ١٤٩٦ ، أصدر الملك هنرى السابع أوامر تكليف إلى كل من الحبيب جون كابوت المواطن البندقى وإلى كل من لويس وسباستيان وسانتيوس أبناء جون المذكور بمنحهم كامل السلطات وحرية التصرف فى القيام بالبحث والكشف والعثور على أى جزر فى أقاليم أو مناطق لم تعرف بعد .

وكان نصيب الملك من هذا الاتفاق هو أن تؤول خمس المكاسب الناتجة عن الاستكشاف إلى خزائنه .

وبدأت أولى رحلات كابوت يوم ٢ مايو عام ١٤٩٧ ، وكانت تضم سفينة واحدة تسمى ماثيو وعلى ظهرها ١٨ بحاراً، وأبحرت السفينة متجهة نحو الشمال بمحاذاة شواطىء أيرلندا ثم انحرفت غرباً ، وفى يوم ٢٤ يونيو وصل كابوت إلى أقصى نقطة فى شمال جزيرة كاب بريتون بكندا وهناك رفع العلم الإنجليزى واستولى على الأرض باسم الملك هنرى السابع ، وكانت تلك هى البداية بالنسبة للاستعمار الإنجليزى فى أمريكا الشمالية .

غير أن كابوت شأنه شأن كولومبوس من قبل تصور أنه قد عثر على آسيا وغمرته الفرحة الجارفة فعاد أدراجه قاصداً بريستول مارا فى طريقه بعدد من الجزر أطلق عليها أسماء إنجليزية .

ووصل إلى بريستول فى ٦ أغسطس ، وقد كافأه الملك على استيلائه على قطع من (أرض الخان العظيم) بأن منحه مكافأة مالية قدرها عشرة جنيهات .

ثم وافق الملك هنرى السابع على اقتراح كابوت بأن يقوم برحلة أخرى تسير بمحاذاة الشاطىء فى اتجاه الجنوب إلى أن تصل إلى اليابان ، إذ كان يعتقد أنها قريبة من خط الأستواء ، وبذلك يمكن الوصول إلى مركز تجارة التوابل ، ومنح كابوت معاشا قدره ٢٠ جنيهاً .

وفى ربيع عام ١٤٩٨ أبحر كابوت من بريستول ، ومعه سفينتان يرافقهما عدد من السفن التجارية المملوكة لبعض التجار ، وقرر كابوت أن يبدأ البحث عن أرض تقع فى أقصى الشمال كان قد سمع عنها من مستكشف آخر يدعى

لافرادور . وسارت رحلة كابوت شمالاً مدفوعة بتيار الخليج إلى أن وصلت فى شهر يونيو إلى جرينلند التى أطلق عليها كابوت اسم أرض لابرادور ثم استأنف السير فى اتجاه الشمال وكان البرد قد بدأ يشتد وجبال الثلج الهائمة تظهر لهم من خلال الضباب الكثيف مما جعل تقدم السفن بطيئا ومحفوفاً بالأخطار .

وفى ١١ يونيو أعلن البحارة العصيان ، ووجد كابوت نفسه عاجزاً عن الاستمرار فى طريقه نحو الشمال بعد أن فشل فى العثور على الممر الشمالى الغربى الذى يصل إلى آسيا عبر جرينلند .

واتجه كابوت بسفنه نحو الغرب حيث وصل إلى جزيرة بافن فى أقصى شمال كندا ، والتى أعتقد أيضاً أنها أرض آسيا ، وبناء على ذلك غير اتجاهه نحو الجنوب قاصداً الوصول إلى اليابان ، إلا أنه بدأ يشعر بالقلق وهو فى طريقه جنوباً ، إذ لم يجد أثراً لتلك الحضارة الآسيوية الأسطورية وكانت المؤن التى يحملها قد بدأت فى التناقص ، لذلك قرر العودة إلى إنجلترا حيث وصلها فى خريف عام ١٤٩٨ ، وتوفى فى نفس العام .

وكان سباستيان كابوت أكثر تحرراً فى تفكيره من أبيه ، وبعد أن عمل فترة فى خدمة إنجلترا أبحر خلالها بحثا عن الممر الشمالى الغربى فى عام ١٥٠٩ ، لكنه قرر فجأة أن من الواجب عليه أن يخدم وطنه الأصلى فتنحى عن خدمة الملك هنرى ، وفى عام ١٥٢٥ أصبح قائداً لبعثة أسبانية للكشف عن جزر اليابان والصين ، فأبحر سباستيان بثلاث سفن من إشبيلية فى شهر أبريل ، وبعد شهرين وصل إلى ساحل البرازيل ومن هناك غير اتجاهه جنوباً نحو مضيق ماجلان ، ولكنه سمع عن الثروات الضخمة الموجودة فى منطقة نهر لابلاتا فأقنع رجاله بغض النظر عن عملية البحث عن جزر التوابل ثم وصل بهم إلى لابلاتا فى شهر فبراير عام ١٥٢٧ .

وتسببت مخالفة سباستيان لأوامر المسئولين فى إشبيلية فى الحكم عليه بالنفى لمدة أربع سنوات فى وهدان بشمال أفريقيا ، ثم سمح له بالعودة بعد ثلاث

سنوات . فعاد سباستيان يسعى للعمل فى خدمة إنجلترا وقد طلبت أسبانيا من إنجلترا تسليمه لها ولكن إنجلترا رفضت .

ثم لعب سباستيان دوراً هاماً فى تأسيس شركة التجار المغامرين المتحدة فى عام ١٥٥١ والتى كونتها جماعة من التجار المغامرين فى لندن ، وحصلت هذه الشركة على إمتيازات احتكارية خاصة من الملك ، كما لعبت دوراً رئيسياً فى تنمية التجارة الإنجليزية ، وقد أصبح سباستيان مديراً لها مدى الحياة .

وفى شهر مايو ١٥٥٣ نظمت هذه الشركة رحلة لمحاولة العثور على الممر الشمالى الغربى الموصل إلى جزر الهند الغربية .

وحدث أن جرفت مياه الشمال المتجمدة سفينتين من سفن البعثة الثلاث وهلك بحارتهما ، إلا أن السفينة الثالثة بقيادة ريتشارد شاتسلور نجحت فى الوصول إلى البحر المتوسط ، ومن هناك اتجه قائدها براً إلى موسكو ، وقد ساعد هذا الكشف الجديد على إقامة اتفاقيات تجارية كبرى بين إنجلترا وروسيا ، ويعتبر من أعظم الإنجازات التى حققتها هذه الشركة .

وفى مايو عام ١٥٥٧ ، أوقف صرف معاش سباستيان بإيعاز من ملك أسبانيا فيليب الثانى ، إلا أن الملكة مارى الإنجليزية أعادت صرفه بعد أيام قليلة ، وقد توفى سباستيان فى أواخر عام ١٥٥٧ وبذلك انتهى عصر آل كابوت الرحالة .

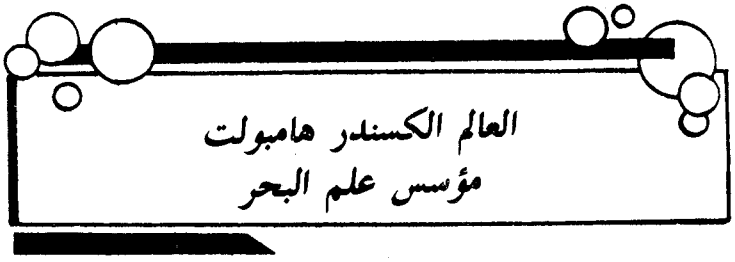

العالم الكسندر هامبولت
مؤسس علم البحر

يعتبر العالم الكسندر هامبولت أول من أرسى قواعد علم المناخ وعلم المحيطات وقد خلد اسمه بصفته واضع علم البحر بأن أطلق هذا الاسم على أحد تيارات البحر الباردة التى تنتشر بطول سواحل شيلى وبيرو ، كما أطلق اسمه أيضاً على إحدى مناطق الولايات المتحدة بالإضافة إلى منطقة من الركام الجليدى فى المنطقة القطبية الشمالية ، وأيضاً على أحد الجبال فى كاليدونيا الجديدة .

وقد ولد الكسندر فريدريش هانيريش بارون فون هامبولت فى برلين عام ١٧٦٩ من أسرة أرستقراطية ثرية وكان أبوه ضابطاً فى الجيش البروسى ، وقد هيأت له ظروفه العائلية مستو رفيع من التعليم والثقافة .

وكانت العلوم الطبيعية والرحلات العلمية تستحوذ على اهتمامه بدرجة كبيرة ، فقام هو وصديق له فى عام ١٧٩٠ برحلة طويلة فى نهر الراين وهولندا وانجلترا وفرنسا ، وعاد من هذه الرحلة وقد ازداد حماساً للعمل فى هذا الاتجاه ودرس التعدين وأصبح مديراً للمناجم وفى عام ١٧٩٥ قادته أبحاثه إلى سويسرا وشمال إيطاليا ثم جاب جبال الألب الشرقية ، ولكن أحلامه امتدت لأبعد من ذلك ، إذ كان يتطلع إلى أرجاء الكرة الأرضية بأكملها وفى عام ١٧٩٨ أسعده التعرف على عالم النبات إيميه بونبلان الذى أصبح رفيقه الدائم فى رحلاته الاستكشافية العديدة التى قطع خلالها مايزيد عن ٦٠ ألف كيلومتر جمع خلالها هو وصديقه الآلاف من العينات النباتية والملاحظات والقياسات العلمية إلى جانب حصيلة هامة من المعلومات الجغرافية والعلمية العديدة ، وقد جمع كل ذلك فى ٣٠ مجلدا بعنوان رحلة إلى المناطق المدارية فى القارة الجديدة وضع

خلالها الأسس لعلمى الجغرافيا الطبيعية والأرصاد الجوية الحديثة إلى جانب توصيف النباتات والبحث فى علم المناخ والمغناطيسية الأرضية وأصبح هامبولت من أشهر رجال العلم فى عصره .

ومن المثير أن نشاط هامبولت لم يتوقف أبداً فعندما بلغ الستين قام برحلة استكشافية فى آسيا الوسطى بتكليف من القيصر نيقولا الأول وصل فيها إلى سيبيريا الجنوبية ، واستغرقت هذه الرحلة حوالى ستة أشهر قطع خلالها مايزيد عن ٤٠٠٠ كيلو متر ، ثم عاد إلى مسقط رأسه برلين ، وهناك استمر هذا العجوز النشط يعمل ، حيث بدأ فى نشر كتابه الشهير **(الكون)** وهو فى سن السادسة والسبعين ، ويعتبر هذا الكتاب من المؤلفات العلمية البالغة الأهمية فى مجال الجغرافيا الطبيعية وقد توفى الكسندر هامبولت فى برلين فى ٦ مايو عام ١٨٥٩ بعد أن بلغ التسعين من عمره الثمين الذى كرسه لخدمة العلم والعالم .

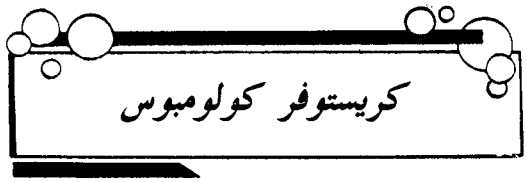

عاش الملاح الإيطالى كريستوفر كولومبس عدة سنوات فى ميناء لشبونه عند مصب نهر التاجوس . كانت تسيطر عليه فكرة ملحة وهو يطلع إلى الأطلنطى الذى يمتد إلى ماوراء الأفق (**كيف نصل إلى الشرق عن طريق الغرب**) .

وفى ذلك الوقت كان أغلب الأوربيين يعلمون أن الأرض كروية بينما كان بعضهم يرفض تصديق ذلك ، ولم يكن أحد يعلم مدى ضخامة الكرة الأرضية أو ما الذى يمكن أن يحدث إذا أقلع أحد رجال البحر بسفينته تجاه الغرب من أجل أن يصل إلى الشرق ، بل كانوا يتصورون أن السفينة التى تبحر عبر المحيط الأطلنطى الهائج الكئيب ما إن تدرك حدوده الغربية حتى تهوى فى هوة لا قرار لها .

وكانت أوروبا فى ذلك الوقت عامرة بالأقاصيص التى تدور حول الأشباح التى تقطن هناك ،وأن البحار التى تحركها العواصف المتصلة لابد وأن تحطم أى سفينة تجازف بالتوغل فيها .

ولكن كولومبوس لم يكن مقتنعاً بهذه القصص وإنما كان يعتقد أن وراء الأطلنطى جزر الهند الغربية ، ويمكنه إثبات ذلك لو توافرت له السفن والرجال .

وكان ملك البرتغال جون الثانى مهتما بهذا المشروع إلا أن اللجنة التى كلفها الملك بالدراسة انتهت إلى أن هذا الإيطالى معتوه .

ولكن كولومبوس لم يستسلم ، وبدأ يبحث عن جهة أخرى تساعده فاتجه إلى أسبانيا ، وكان من الصعب على أى أجنبى الحصول على الموافقة على دخول البلاط الملكى الأسبانى المتزمت ولكن كولومبوس الجسور لم تكن لتقف أمامه هذه العقبة ، فعقد صداقات مع رجال القصر ثم لم يلبث أن تمكن من عرض خطته على الملك فرديناند الأرجوانى والملكة إيزابيلا القشتالية ، ثم سمحت له

الملكة بالمقابلة فى ١ مايو عام ١٤٨٦ حيث أخبرته بأنها على استعداد لتكليف بعض علماء جامعة سالامنكا لدراسة خطته .

ومن الغريب أن كولومبوس ظل منتظراً سنوات عديدة قرار هؤلاء العلماء وكان القرار أن الأمر يبدو مستحيلاً لأى إنسان على قدر من التعليم أن يحقق هذه الخطة ، ولكن كولومبوس استجمع شجاعته وكتب إلى الملكة إيزابيلا أنها إذا لم تساعده فسيتوجه إلى عاهل آخر لمساعدته وترك البلاط الأسبانى وتوجه إلى فرنسا ، ولكن ملك فرنسا كان مهتماً فى ذلك الوقت بالفتوحات فى إيطاليا .

وكان كولومبوس على وشك النزول إلى الأراضى الفرنسية ، وإذا بمجموعة من الجنود الأسبان تباغته وتقدم له رسالة من الملكة إيزابيلا جاء فيها أنها قررت أن ترفض نصيحة علمائها وتساعده على تنفيذ خطته وشعر كولومبوس أن الأمل الذى ظل السنين الطويلة ينتظر تحقيقه قد أصبح قريبا .

وفى صباح اليوم الثالث من شهر أغسطس عام ١٤٩٢ أقلعت من ميناء بالوس ٣ سفن تحمل أسماء نينا وبنتا وسانتا ماريا تحت قيادة كريستوفر كولومبوس وتحت إمرته طاقم يبلغ حوالى مائة شخص لتنفيذ مشروع الهند الغربية .

وكان كولومبوس ملاحاً حذراً ومحنكاً وهادىء الطبع ، وأبحر بالأسطول فى بادىء الأمر تجاه جزر الكاناريا ثم اتجه غربا إلى المجهول ، ومرت الأيام وبدأ الضجر يسرى بين البحارة وبدأ الشك يحيط بهم من أن هذا الإيطالى يقودهم إلى حتفهم وأن عليهم أن يعودوا إلى وطنهم .

ولكن الريح كانت مواتية وتهب باستمرار وبدون عنف .

وذات صباح صرخ أحد البحارة على ظهر السفينة بنتا أن هناك أرضاً على مرمى البصر ، وشاهد الجميع شريطاً قاتماً عند الأفق ولكن ما أن اقتربوا منه حتى اختفى وإذا بالرجال يتملكهم الرعب وحاول قائدهم الهادىء أن يخفف عنهم موضحاً أن الأمر لايعدو أن يكون مجموعة من السحب ، ثم مر على

كولومبوس والرجال مايقرب من الشهرين وهم يبحرون فى هذا المحيط اللانهائى حتى أصبح الرجال على شفا التمرد ويصرون على العودة ، فاضطر كولومبوس أن يقطع على نفسه عهداً بأن يعودوا على أعقابهم إذا لم يروا اليابسة خلال ثلاثة أيام ، ويبدو أن كولومبوس لم يقطع على نفسه هذا الوعد من فراغ ولكنه كان قد أبصر غصناً من شجرة عائما على سطح الماء ، وكان الغصن يحمل زهوراً فتأكد لكولومبوس أن اليابسة لابد وأنها جد قريبة من سفنه .

وفى الساعة الثانية من صباح يوم ٢ أكتوبر ترددت فى جنبات السفينة بنتا صيحات مدوية طال اشتياق كولومبوس لسماعها ، إذ كان الرجال يصيحون « **الأرض الأرض** » .

واعتقد كولومبوس أنه قد وصل إلى جزر الهند الغربية ، ولكن الحقيقة أن تلك الأرض لم تكن سوى إحدى الجزر الخارجية من مجموعة البهاما .

ثم اكتشف قبل عودته إلى أوروبا عدداً آخر من جزر الهند الغربية وطبقاً لحساباته اتضح له أن الجزر التى شاهدها هى جزء من أرخبيل اليابان ، وكان الهدف من رحلته أن يكتشف اليابان نفسها ، فدار حول الشواطىء الشمالية لكوبا وهسانيولا (هايتى حالياً) وهناك وجد رجاله كميات بسيطة من رواسب الذهب فقاموا بمقايضة الوطنيين على بعض حليهم الذهبية ، ولكن حدث أن تحطمت سفينة القيادة سانتا ماريا عند شواطىء هسبانيولا فصمم كولومبوس على العودة إلى الوطن تاركاً عددا صغيرا من رجاله على البحر .

ثم قام كولومبوس بثلاث رحلات أخرى إلى الأراضى الجديدة ولكنه لم يقابل بالترحاب ، وأصدر الحاكم أوامره بعودة كولومبوس فوراً إلى أسبانيا لاعتقاده أنه تسبب فى حدوث قلاقل بين المستوطنين .

وكانت راعيته الملكة الأسبانية قد فارقت الحياة ، ولم يعد اسمه معروفا فى البلاط الملكى الأسبانى .

ومن المؤسف أن نهاية هذا المستكشف الشجاع كانت مؤسفة إذ لفظ أنفاسه الأخيرة وحيدا فى إحدى الحانات البائسة فى مدينة فالادوليد يوم ٢٠ مايو عام ١٥٠٦ .

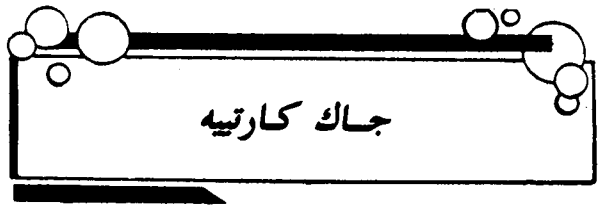

جـاك كـارتييه

يعتبر جاك كارتييه من أوائل مكتشفى كندا ، فقد سبقه الأخوان كابوت اللذان ابحرا بطول السواحل الكندية إلى جانب الكثيرين من البحارة من منطقة الباسك والبرتغال الذين زاروا تلك المناطق إلا أنهم لم يستقروا بها ، وكان الملك فرنسوا الأول ملك فرنسا يتطلع إلى غزو الأراضى الجديدة الغنية بالذهب والمعادن ولكنه كان يريد فى المقام الأول أن يكتشف فى الغرب طريقاً بحرياً يمكن أن يؤدى إلى الشرق الأقصى حيث تجارة التوابل التى يحتكرها العرب تماماً فى ذلك الحين .

ولد جاك كارتييه فى مدينة سان مالو بفرنسا عام ١٤٩١ واتجه إلى العمل فى البحر ، وفى عام ١٥٣٤ أسند إليه الملك مهمة الكشف عن بعض الجزر التى يقال أن بها كميات كبيرة من الذهب .

وأبحر كارتييه يوم ٢٠ أبريل عام ١٥٣٤ حيث وصل إلى خليج سان لوران فى يوليو ، وبعد أن تعرف على سواحل لابرادور وأطلق عليها العديد من الأسماء الفرنسية ، تقدم بعد ذلك حتى جزيرة انتيكو ستى وهناك أعتقد أنه وصل إلى مدخل الطريق الذى يتطلع إليه والمؤدى إلى الهند ، ولكن الجو بدأ يهدد بالخطر فاضطر كارتييه إلى العودة إلى فرنسا فى أغسطس عام ١٥٣٤ .

ثم كانت رحلة كارتييه الثانية هى أهم رحلاته حيث بدأها فى ١٩ مايو عام ١٥٣٥ ومعه ثلاث سفن وبعد رحلة طويلة وشاقة وصل إلى مضيق بيل أيل فى ٢٦ يوليو ثم وصل فى ١٠ أغسطس إلى خليج أطلق عليه اسم سان لوران ، وفى ١٥ أغسطس مر بإحدى الجزر وأطلق عليها اسم انتيكوستى أى جزيرة الصعود ثم توجه لأعلى نهر هوشلاجا ، وبعد أن تعرف على مصب نهر ساجينى المظلم البارد بدأ فى الاتصال بالأهالى الوطنيين الذين رحبوا به كثيراً واستقبله الزعيم دوناكون مرحبا فى مدينة ستاداكون والتى أصبحت

كوبيك فيما بعد ، وقد أظهروا فرحا عظيماً بالمصنوعات الحديدية المزخرفة التى أحضرها معه كارتييه وأخذوا يرقصون ويبدون له مظاهر الحفاوة البالغة .

ولكن كارتييه عزم على التقدم لاكتشاف مملكة أخرى هامة هى مملكة هوشلاجا ، وترك أكبر سفنه جراندهرمين وبتيت هرمين فى مدينة ستاداكون ثم أبحر بالسفينة أمريون لمتابعة رحلته الاستكشافية وبعد ثلاثة عشر يوماً قضاها فى البحر ووصل إلى هوشلاجا فى ٢ أكتوبر وهو أقليم صغير تنتشر فيه بضعة أكواخ عند سفح التل أطلق عليه كارتييه اسم مون رويال (مونتريال) وقد استقبلهم الأهالى استقبالاً حافلاً إذ بهرتهم هيئة الفرنسيين ذوى الشوارب الكثة والذقون ذات اللحى والخوذ فوق الرؤوس والدروع اللامعة ، فالتف الأهالى حولهم فى دائرة وقد كتب كارتييه فى مذكراته عن هذا الموقف (**كانما أردنا إن نؤدى بعض الألعاب السحرية**) .

وفى ١١ أكتوبر عاد كارتييه إلى رفاقه فى ستاداكون ، وكان فصل الشتاء قاسياً إلى جانب تفشى مرض الأسقربوط بينهم ، وما أن حل الربيع حتى بدأ فى ٦ مايو العودة بإسطوله إلى فرنسا ، وقد نشرت تفاصيل هذه الرحلة فى عام ١٥٤٥ تحت عنوان (**رواية مختصرة للرحلة البحرية التى قام بها القبطان جاك كارتييه إلى جزائر كندا**) .

وقد أرسى هذا القبطان الجرىء حقوق فرنسا فى وادى سان لوران الرائع وفى عام ١٥٤١ حيث قامت بعثة ضخمة لاستعمار الأرض الجديدة .

ثم أسندت إلى كارتييه قيادة خمس سفن لحمل السكان الجدد للمستعمرة الأمريكية الجديدة ، ومن المثير أن شخصاً آخر يدعى جان فرانسوا دى لاردك هو الذى نال لقب نائب الملك والمندوب العام فى كندا وظل مقيما فى فرنسا بينما خرج كارتييه إلى عرض البحر مرة أخرى فى مايو ١٥٤١ ، وعندما وصل إلى ستاداكون أقام مركزاً لقيادته عند مصب نهر كاب روج ووضع أساساً لمدينة شارلز بورج رويال ، ثم عاد إلى فرنسا بعد عام حيث أقام فى قرية ليموالا الصغيرة وظل بها إلى أن توفى فى سبتمبر عام ١٥٥٧ .

فيتوس بيرينج

كانت فكرة الطواف حول العالم بحرا للوصول إلى أراضى الصين واليابان الأسطورية تمثل الحلم الذى يراود المستكشفين الأوروبيين فى العصور الوسطى ثم تطورت الفكرة فى القرن السادس عشر إلى نظريتى الممر الشمالى الغربى والممر الشمالى الشرقى أو بمعنى آخر الطريقين الممتدين فوق القمة ، إذ يمتد أحدهما شمال سيبيريا ويمتد الثانى فى أقصى شمال كندا ، ولكن الأقطار القطبية الشمالية كانت شديدة البرودة وتجتاحها العواصف والأخطار إلى حد بالغ حتى أنه كانت عمليات الاستكشاف فى تلك الأيام لا تتم إلا بالسفن الشراعية الخشبية ، لذا لم يكن يجرؤ على الارتحال إلى مثل هذه المناطق سوى أشد الرجال بسالة وإقدام وأكثرهم جرأة .

وكان فيتوس بيرينج هو أحد هؤلاء الرجال الواسل .

ولد فيتوس بيرينج فى هورستر فى شرق الدانمرك عام ١٦٨١ ، واتجه إلى البحر وهو لا يزال فتى صغيراً وتلقى مهاراته كملاح فى السفن الدانمركية بيد أنه سعى إلى إيجاد منفذ لطموحاته المثيرة التى تتعدى مجرد الإبحار ضمن الحملات التجارية الدانمركية ، فالتحق فى عام ١٧٠٤ بالبحرية الروسية حيث عرف باسم إيفان أيفانوفيتش، وكانت هذه الخطوة حاسمة فى حياته إذ أدت إلى ارتباطه بالمشروعات الكبرى التى اضطلع بها بطرس الأكبر لاستكشاف الشواطىء الشمالية الشرقية لقارة آسيا ، ذلك أن روسيا نمت بصورة هائلة بحلول القرن الثامن عشر ، بعد أن كانت فى بداية نشأتها دولة ضئيلة من دول العصور الوسطى المعروفة باسم موسكوفى القديمة ، وامتدت رقعتها شمالاً وغرباً فى اتجاه بحر البطيق ثم إلى الجنوب فى اتجاه شبه جزيرة القرم كما امتدت حدودها شرقاً عبر سيبيريا فى اتجاه أقاصى حدود القارة الأسيوية وكان الطرف الشمالى الشرقى للدولة الروسية يستأثر بخيال القيصر بطرس حتى شعر أنه قد وجد فى شخص فيتوس بيرينج الرجل الذى سيقوده إلى مجاهل المناطق القطبية الشمالية .

وكان بطرس يتطلع إلى امتلاك تلك المناطق التى لم ترسم بعد على الخرائط ، إلى جانب اكتشاف مدى اتصال قارتى أمريكا وآسيا أو انفصالهما .

ومن العجيب أن القيصر استدعى بيرينج وطلب منه إعداد حملة لاستكشاف السواحل القطبية لآسيا وأمريكا وكان ذلك فى عام ١٧٢٤ وقبل عام واحد من وفاته .

وتألفت الحملة من سفينتين فقط و٢٥ رجلاً حيث تجمع الرجال فى أوخوتسك وهى قاعدة على ساحل سيبيريا الشرقى وشرعوا فى بناء سفينتهم فورتشن وسانت جبريل .

وما أن حل عام ١٧٢٦ حتى أتموا استعدادهم وأبحر بيرينج مع رجاله القلائل فى اتجاه سيبيريا الشمالى ، وقد مر بشبه جزيرة كمشاتكا ، ولم يطل به الوقت حتى اقترب من طرف آسيا ، وفيما بين العاشر والخامس عشر من شهر أغسطس ، اجتاز المضيق العظيم الذى يفصل آسيا عن أمريكا ويعرف اليوم باسم مضيق بيرينج .

ولم يلبث بيرينج أن قفل راجعاً على أثر اقتراب الخريف ومعه خطر التجمد ، وقد استقبل بالتهليل فى سانت بطرسبرج من قبل القيصرة آنا التى خلفت بطرس الأكبر على عرش روسيا ، وتهيأ لفيتوس أم يبلغها أن آسيا وأمريكا هما فى الواقع قارتين منفصلتين .

وبدأ بيرينج يستعد للقيام بالرحلة الثانية والتى كانت تفوق الرحلة الأولى ، وشيدت لهذا الغرض سفينتان أكبر من السابقتين ، أطلق عليهما سفن سانت بيتر وسانت باول ، وقد أبحرتا فى عام ١٧٤٠ إلى شبه جزيرة كمشاتكا حيث أسس بيرينج بلدة بتروبافلوسك أى بيتروبول تكريماً للسفينتين وفى ٤ يونيو ١٧٤١ استقل البحر فى رحلته الأخيرة متجها إلى القفار المتجمدة ،ولم يكد يمضى فى البحر أسبوعين حتى هبت عاصفة عاتية فصلت مابين السفينتين ولم يقدر لهما أن تلتقيا بعد ذلك قط .

فأما السفينة سانت بول التى كان يقودها الكابتن سيريكوف فقد وصلت

إلى الشاطىء الأمريكى على مقربة من جزر كوين شارلوت ثم عادت أدراجها فى بتروبافلوسك فى ٢١ أكتوبر عام ١٧٤١ .

أما بيرينج فكان القدر يخبىء له مصيراً آخر ، إذ وصل هو أيضاً إلى الشاطىء الأمريكى ولكن عند نقطة أكثر بعداً فى أتجاه الشمال ، وكان الشتاء الرهيب قد بدأ يقترب لذا سار بسفينته فى اتجاه الجنوب الغربى قاصداً العودة إلى مواطنيه ، وقد عرف أن توقف مرتين والمرجح أنه فعل ذلك للاحتماء من العواصف ، والأغلب أنها كانت جزيرة كودياك والثانية إحدى جزر اليوشان ، ولكن الشتاء القطبى الرهيب كان يستجمع قواه ، وبدأت الأمطار الثلجية العنيفة تنهمر بلا انقطاع وأطبق عليهم غطاء جاثم من الضباب الكثيف النادر ضاعف من المخاطر المروعة التى أحدقت بهم وراحت السفينة تتخبط فى طريقها تحت ظروف جوية مروعة لمدة أربعين يوماً ، واشتدت وطأة البرد على طاقم السفينة حتى شارفوا على اليأس .

وأخيراً وصل الرجال فى يوم ١٦ نوفمبر بعد أن برح بهم الجهد والإعياء إلى جزيرة نائية تبعد أكثر من ٣٢٠ كم عن نطاق الأمان سباستيان كمشاتكا ، وهبط الرجال المكافحون وهم يجرون أجسادهم المنهارة واستعدوا لاحتمال وطأة الشتاء المروع وقد نفد منهم الوقود والطعام وقد قدر لعدد قليل منهم النجاة بما تيسر لهم صيده من حيوان الثعلب وعجل البحر ، واستمروا فى الكفاح من أجل الحياة حتى صيف ١٧٤٢ حيث استطاعت مجموعة منهم أن تبنى قارباً استقلوه إلى أرض الوطن .

أما بيرينج ذلك المستكشف البطل فقد شعر فى أوائل ديسمبر أن النهاية باتت وشيكة بعد أن تجاوزت قدرته كل حدود التجلد والاحتمال بالرغم من رصيده البالغ منها ، لهذا رفض الطعام أو البقاء فى الكوخ الخشن الذى أقامه له الرجال وطلب منهم أن ينقلوه إلى العراء وأن يتركوه يتلقى مصيره فى ذلك المكان الموحش القفر ، والذى يعرف الآن باسم جزيرة بيرينج ، حيث لفظ أنفاسه الأخيرة وهو مولياً وجهه شطر البحر الذى كان دائماً حبه وحياته ومسرح انتصاراته ، ثم أصبح فى النهاية الخاتمة لمأساته .

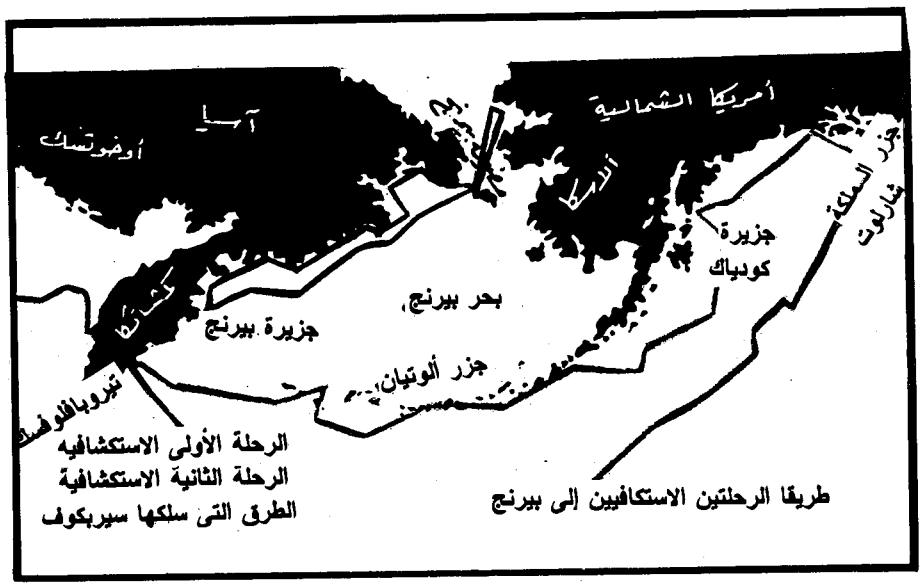
أمريكا الشمالية
آسيا
أوخوتسك
ألاسكا
جزر الملكة شارلوت
جزيرة كودياك
كامتشاتكا
بحر بيرنج
جزيرة بيرنج
جزر ألوتيان
الرحلة الأولى الاستكشافيه
الرحلة الثانية الاستكشافية
الطرق التى سلكها سيربكوف
طريقا الرحلتين الاستكافيين إلى بيرنج

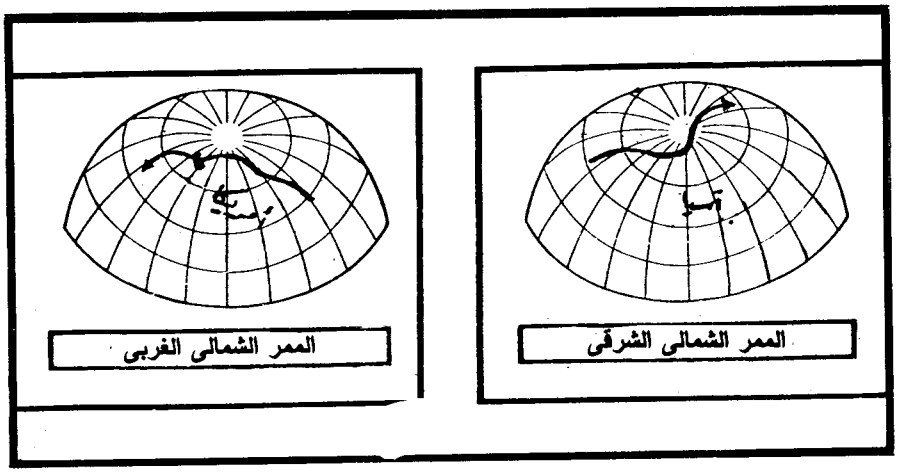
الممر الشمالى الغربى
الممر الشمالى الشرقى

المراجع

- polar Regions.
  by : Terry jenning.

- Alaska - travel guide.
  by : Sunset books.

- The Earth.
  by : Arthur beiser.

- Lands and Peoples.
  by : grolier incorporated.

ـــ الإنسان وسلالاته ـــ الدكتور يسرى الجوهرى .
ـــ جغرافية المحيطات والبحار ـــ الدكتور فيليب رفله
ـــ سلسلة كل شيء عن ـــ دار المعارف
ـــ سلسلة المعرفة ـــ دار ترادكسيم للنشر
ـــ التيتانيك سفينة الغرائب والعجائب ـــ الدكتور أيمن أبو الروس .